الثقافة الإسلامية

الفصل الثاني

الوحدة الخامسة

قضايا ثقافية معاصرة من منظور إسلامي

١- الأصالة والتجديد ومشكلة الحداثة والمعاصرة.

٢- الثابت والمتغير في منهج الإسلام.

٣- مشكلة الشباب وموقف الإسلام منها.

٤- آفة المخدرات وخطرها على المجتمع.

الأصالة والتجديد ومشكلة الحداثة والمعاصرة.

أولاً: الأصالة:

الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة، ولا تكون الشجرة طيبة قوية، خضراء مثمرة، إلا إذا كان أصلها ثابت، وجذورها ضاربة في أعماق الأرض، تستمد منها عناصر الماء والغذاء، وتقدمها لفروعها وأغصانها وأورقها، فتنتج الثمار اليانعة، وتعتمد تلك الفروع على أصلها الثابت، وتعتز به، فيزيدها شموخاً وارتفاعاً في السماء.

والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة، ووصفت بأنها خبيثة لأنها ليس لها أصل، وإنما هي نابتة على وجه الأرض، وهذا لا يحميها من الأخطار والآفات، وإذا ما هبت عليها عاصفة، فإنها تجتثها من فوق الأرض، وترمي بها بعيداً.

وهكذا الكلمات الطيبة النافعة البائية، المعتمدة على أصولها الثابتة، والكلمات الخبيثة المنقطعة عن أصولها قال تعالى: وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

تعريف الأصالة:

الأصالة مشتقة من الأصل، وأهميتها من أهميته. فكما أنه لا فرع بدون أصل، كذلك لا وجود لأمة بدون أصالة، ولا قوة لفكرة أو ثقافة بدون أصالة.

الأمة بدون أصالة كالفرع المقطوع من الشجرة، الملقى على الأرض، والثقافة بدون أصالة كلمات وأفكار ميتة، كالشجرة التي اجتثت من فوق الأرض، ما لها من قرار.

والأصالة مصطلح معاصر، لم يستعمله السابقون، يعني هذا المصطلح أن لكل أمة ذات وجود حضاري مؤثر أصالة، هذه الأصالة حصانة وحماية لها.

والأصالة هي: التعبير الشخصية الإنسانية الاعتبارية للأمة، والتي تتميز بها في الوجود الإنساني الفعال، والتي تشكل من مقوماتها الأساسية في الدين والفكر الأدب والقيم الاجتماعية [١].

ومن المعلوم أن لكل امة مقومات خاصة بها، قائمة على دينها وفكرها، وآدابها وقيمها وهذه المقومات جعلت لها شخصية اعتبارية، تميزت بها عن باقي الأمم، وحققت بها وجودها الحضاري، وبذلك صارت لها أصالتها التي تعتز بها.

وإذا كان هذا في الأمم غير المسلمة، فإنه في الأمة المسلمة أكثر وضوحاً وأهمية، بمعنى أنه لابد أن تكون للأمة المسلمة أصالتها.

فالأصالة الإسلامية هي: الشخصية الاعتبارية للأمة المسلم، التي صاغها لها الإسلام، والتي تميزت بها عن باقي الأمم، وأدت بها وظيفتها في الوجود الإنساني، وبذلك كانت حركة الأمة تعبيراً عملياً عن الإسلام.

فالأصالة تعني: حسن ارتباط الأمة بإسلامها، وتوثيق صلتها به، وتنفيذها لأحكامه، وثباتها على قيمة وحقائقه، وحركتها به.

والإسلام هو الأصل الثابت للأمة، جعلها كالشرجة الثابتة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

- **أهمية الأصالة**:

الأصالة ضرورية لكل أمة، وهي لأمتنا المسلمة أكثر أهمية وضرورة، لأنها أمة متميزة بإسلامها ورسالتها ودورها وشخصيتها، ولأن الأمم الأخرى تطمع فيها، فالأصالة تعريف لأبناء الأمة بإسلامها، وتحصين لهم أمام هجوم الأعداء، ورد على دعوات التغريب والضياع. وتبدو أهمية الأصالة في النقاط الآتية:

❖ **التأكيد على تميز الأمة المسلمة**: لقد ميز الله هذه الأمة بإسلامها ومنهاجها، وبأحكامها وتشريعاتها، ميزها بالقرآن المعجزة، والقبلة الخاصة، والشريعة الحكيمة، وجعلها الأمة الوسط، الشاهدة على باقي الأمم والأفكار والمبادئ. ولا بد من التركيز على تميز الأمة بين الأمم، لتؤدي رسالتها وتقوم بواجبها، والتفات الأمة إلى أصالتها، وعودتها إلى أصولها تأكيد على ذلك التميز.

❖ **وجوب ارتباط الأمة بجذورها الثابتة**: تتمثل جذور الأمة في أسس أصالتها، القائمة على الكتاب والسنة، وإذا انقطعت صلتها بجذورها ضاعت وضلت، فالأصالة تعني عودة الأمة إلى تلك الجذور الثابتة، والأصول الراسخة، وتوثيق الارتباط بها.

❖ **أهمية إحساس الأمة بهويتها**: الإسلام هو هوية أمتنا وشارتها وعلامتها، ورضية الله لنا ديناً: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ [المائدة: ٣].

والأصالة تعمق إحساس الأمة بهذه الهوية المباركة، وتقوي اعزازها بها، وانتسابها إليها.

❖ **ضبط حركة الأمة المتوازنة**: الأصالة تضبط حركة الأمة ضبطاً متوازناً مأموناً، فتكون الحركة متوازنة(وسطية)، لا إفراط بها ولا تفريط، ولا غلو فيها ولا تقصير، فلا تتفلت الأمة من إسلامها بحجة المرونة والانفتاح، ولا تتعلق الأمة بحجة الحرص والتشدد!.

❖ **الثبات أمام الهزات**: قد تمر الأمة بهزات مفاجئة، تصورية أو علمية، أو سياسية أو اجتماعية، أو ثقافية أو سلوكية، أو اقتصادية أو حضارية.

فالأصالة تثبت الأمة أمام تلك الهزات، فلا تذل أو تضعف أو تستكين أمام الأعداد، ولا تنهزم نفسياً أمام قوة الأعداء، فتتخلى عن إسلامها من أجل الاقتداء بهم.

وإذا كانت الأصالة بهذه الأهمية، فلا بد من الالتفات إليها، وتخصين الامة بها، وتعريفها على أُصولها، القائمة على الكتاب والسنة، لتتحصن بهما.

ولا تجوز المغالاة في الأصالة، فالمغالاة في كل شيء مردودة مكروهة، والأصالة لا تعني رفض كل ما عند الآخرين، وعدم أخذ شيء منهم، إن الأصالة تعلم الأمة ما تأخذ وما تدع، مما عند الآخرين، وتدلها على الاقتباس المأمون مما عندهم، فلا تأخذ شيئاً من أفكارهم وتصوراتهم وقيمهم وأعرافهم،

المتصلة بنظريتهم المادية للحياة، وتأخذ منهم ما أبدعوا فيه من الاختراعات والوسائل والأساليب المادية التكنولوجية العلمية المتطورة!.

- **محاور الأصالة**:

تتمثل أصالة أمتنا في أصولها الثابتة، وتقوم هذه الأصول على الكتاب والسنة، فهما أساس الفهم والعلم، والتصور والفكر، والتشريع والتنظيم.

وتقوم هذه الأصلة على المحاور الآتية:

١- **توحيد الألوهية:** الله وحده هو رب العالمين، لا إله إلا هو، ولا رب غيره، ولا معبود بحق سواه، المتفرد بالألوهية والربوبية، وصفات الكمال والجلال.

٢- **العبودية لله:** كل ما سوى الله مخلوق، وهو عبد خاضع لله، والإنسان يدين لله بالعبودية والخضوع والطاعة.

إن "الألوهية والعبودية" هما أساس إسلامنا: الألوهية لله وحده، وعبودية كل ما سواه له. ولا تتمثل هذه العقيدة بهذا الوضوح والتحديد إلا في الإسلام.

٣- **الخلافة في الأرض:** استخلف الله الأمة المسلمة، وجعلها شاهدة على باقي الأمم، وأمرها بتعمير الأرض على منهجه، ودعوة الأخرين إليه، فهي أمة الخلافة والرسالة والشهادة والدعوة، بهذا تتميز، وتحدد معامل شخصيتها، وأسس هويتها.

٤- **الالتزام بالكتاب والسنة:** هما دستور الأمة المسلمة ومنهاجها، وأساس تشريعاتها، وأصل تصوراتها ومعارفها وعلومها، أوجب الله عليها الالتزام بهما، وحسن فهمهما، والانطلاق منهما.

٥- **شمول الإسلام:** الإسلام نظام عام شامل، يشمل جميع نواحي حياة الأمة، فيه الخطوط الرئيسية للنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية والعلمية، فلا تحتاج الأمة المسلمة أن تأخذ في هذه النواحي عن الأمم والأفكار والتصورات الأخرى.

٦- **العفة والطهارة والاستقامة:** تتميز الامة المسلمة بأصالتها في كل شيء، ومن ذلك تميزها عن باقي الأمم في الجانب الأخلاقي، فرسالها الأخلاقية تقوم على العفة والطهارة في العلاقة بين الجنسين، وفي قضاء الشهوات، وتقوم على إدخال العنصر الأخلاقي في ممارسات وسلوكيات الأمة، في مختلف جوانبها ومجالاتها: فلا كذب ولا سرقة ولا رشوة، ولا ظلم ولا بغي ولا فساد.

هذه هي المحاور الأساسية، التي تشد الأمة المسلمة إلى أصالتها البناءة، وتربطها بأصولها الثابتة، فتعيش حياتها المتوازنة متحصنة بأصالتها الحافظة.

ثانياً: **التجديد**:

التجديد مصدر، تقول: جدَّد الشيء تجديدًا. وتجديد الشيء هو جعله جديدًا، ويستعمل "التجديد" في مجالين:

الأول: المجال المادي: كتجديد البيوت والأماكن، والأمكنة، فقد يكون البيت قديماً أصابه التلف في بعض جوانبه، فيجدده صاحبه بصيانته، وهذا التجديد المادي ليس فيه خلاف أو نزاع.

الثاني: المجال المعنوي: كتجديد الأفكار والنظرات والقيم والمبادئ. وهذا هو المهم في الحديث عن التجديد، وعند الحديث عن الأصالة والمعاصرة.

وتعريف التجديد هو: إعادة الفكرة التي تراكمت عليها أشياء غريبة، فطمست جوهرها، إلى ما كانت عليه من الصفاء والنقاء.

وقد يطول على المسلمين الأمد، فتضعف صلتهم بالإسلام، من حيث الفهم والتطبيق والالتزام والتنفيذ، فتدعو الحاجة إلى التجديد، أي: تجديد صلتهم بالإسلام، لتكون الصلة قوية متينة حية مؤثرة.

يقوم المجددون بواجبهم لإعادة المسلمين إلى حقيقة الإسلام المؤثرة الموجهة، التي كان عليها زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، ويقربون المسلمين من حياة الصحابة الذين تأثروا بالإسلام.

وبهذا نعرف أن التجديد ليس تجديداً في مبادئ الإسلام وحقائقه وقيمه، وإنما تجديد صلة المسلمين بها [٢].

أسباب التجديد:

بعد معرفتنا للمعنى الصحيح للتجديد، يمكننا أن نذكر الأسباب التي تدعو بإلحاح إلى التجديد:

١- **إحياء معنى الإسلام في نفوس المسلمين:** باستبعاد الفهم الخاطئ للإسلام، من أنَّه مجرد دين ينظم صلة المؤمن بربه فقط، أو مجرد ثقافة ومعرفة نظرية فقط، أو أنَّه لا يصلح لعصرنا المتقدِّم، وفهمه على أنَّه دين حي مؤثر موجة فاعل، منظم لحياة الأفراد والجماعات.

٢- **حل المشكلات الطارئة بالإسلام:** يقع المسلمين في مشكلات خطيرة بسبب بعدهم عن الالتزام بالإسلام، سواء في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو السلوك، فتدعو الحاجة إلى التجديد، بتقديم الحلول الإسلامية لتلك المشكلات.

٣- **تحريك الطاقات المعطلة:** هناك طاقات كثيرة معطلة عند المسلمين، الرجال والنساء، والشباب والكبار، فيجدد المصلحون صلة المسلمين بإسلامهم، ويكون ذلك التجديد تحريكًا لتلك الطاقات، وحسن توظيفها وتوجيهها الوجهة الصحيحة، لتسفيد منها الأمة، ويكون تحريك تلك الطاقات ملتزماً بإطار ثوابت الإسلام.

٤- **إيقاظ روح الجهاد في الأمة:** قد تسوء نظرة المسلمين للجهاد، فيتثاقلون عنه، ويؤثرون الركون إلى الدنيا، ويتركون الاعداء يطمعون فيهم ويتآمرون عليهم، فيكون التجديد إيقاظًا لروح الجهاد في نفوس المسلمين، وبعثًا لحماستهم له، وترغيبًا فيه.

لهذه الاسباب نرى أن التجديد ضرورة ملحة، لا غنى عنها، وأنه ليس تجديدًا في الإسلام، وإنما هو تجديد في فهم المسلمين للإسلام، وفي تطبيقهم له.

وهدف التجديد هو: تنقية الإسلام مما علق به من الشوائب الغريبة عنه، وإعادته إلى صفائه ونقائه كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وتحسين صلة المسلمين به، وتقريب المجتمع الإسلامي إلى صورة ذلك المجتمع زمن الخلفاء الراشدين.

التجديد والفقه والاجتهاد:

كان التجديد معروفًا عند السابقين، وكانوا يعيشونه عمليًا، ولكنه لم يكن منتشرًا ذائعًا بينهم، باعتباره مصطلحًا له معنى محدد.

كانت حركة التجديد مستمرة عن السابقين، وظهر مجددون علماء في كل قرن من قرون التاريخ الإسلامي، وعاش المسلمون التجديد عمليًا، ولم يكن التجديد عندهم مشكلة أو قضية، ولم يشتبكوا فيما بينهم في معركة حوله، ولم يكن أناس منهم مع التجديد وأناس ضده، ولم يدعوا إليه بإلحاح، ولم يكن التجديد تياراً له أنصار متحمسون، كما هو الحال في عصرنا، حيث تحول التجديد إلى قضية ومشكلة، له أنصار مؤيدون، يتحدثون عنه بتشنج، ويخوضون من أجله معركة ثقافية عنيفة، ويشكلون تيارًا عامًا!

كان موضوع التجديد عند السائقين أيسر من هذا، وكان يتم بسهولة ويسر، ويتفاعل المسلمون مع المجددين من العلماء والمصلحين، ويعيدون إحياء

الإسلام في نفوسهم من جديد. ولم يستخدم السابقون مصطلح التجديد، إنَّما استخدموا مصطلح "الفقه في الدين" ومصطلح "الاجتهاد". لإن الفقه في الدين يدل على معنى التجديد وزيادة.

التجديد هو: الاستجابة المتواصلة لتحديات الواقع الاجتماعي الإنساني المتدافعة المتحركة.

والفقه في الدين–في المفهوم الإسلامي–هو: الاستجابة المتواصلة لتحديات الواقع الاجتماعي في حياة المسلمين، ذلك الواقع الاجتماعي المتدافع المتحرك، وإعادة ذلك الواقع إلى حقائق الإسلام، وتقديم الحلول الإسلامية لمشكلات ذلك الواقع.

وإذا كان الفقه يتضمن معنى التجديد فالأولى استخدامه مكان التجديد، كما فعل السابقون.

إن مصطلح" الفقه في الدين" أقرب إلى الانسجام مع روح الإسلام وتحولات الواقع الاجتماعي للمسلمين، لأنه يحمل إيحاءات الانجذاب إلى ثوابت الإسلام، عقيدة وعبادة ونظام حياة، أثناء حركة الاستجابة المتواصلة لمستجدات الواقع الاجتماعي، وإعادة المتفلت منها إلى مبادئ الإسلام (٣)

كذلك مصطلح "الاجتهاد" الذي استخدمه السابقون مكان التجديد، يتضمن معنى التجديد.

التجديد عند السابقين هو: إحياء الإسلام في النفوس، وإعادة المسلمين إلى صورته الأولى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

والاجتهاد عندهم هو: الآلية الشرعية التي تضبط مسار المسلمين على هدي الكتاب والسنة، وتقرب المسلمين إلى ما كان عليه الأمر في عهد النبوة، وحل مشكلات المسلمين على هدي الإسلام[٤]

ولذلك وضع العلماء السابقون شروطًا وضوابط للاجتهاد، وحددوا الأمور القابلة للاجتهاد والأمور التي لا يجوز الاجتهاد فيها، وبينوا طبيعة الاجتهاد ومضمونه وميادينه وأساليبه، وذكروا آدابًا وسمات وعلومًا لابد من تحققها في المجتهدين.

وقد قام المجتهدون بواجبهم الإيماني، ولم تخل فترة من فترات التاريخ الإسلامي من مجتهدين، وكان اجتهادهم "تجديدًا" في حياة المسلمين، وكانوا "مجددين" في الدين.

وعند النظر في أسماء المجددين على مدار التاريخ الإسلامي، نجد أنَّهم كانوا علماء راسخين في علوم الشريعة، منهم المفسر والمحدث والفقيه والمؤرخ وعالم التزكية والتهذيب.

ثالثاً: المعاصرة:

المعاصرة دعوة من أخطر الدعوات المنتشرة في بلاد المسلمين، وهي تشير إلى قضية من أهم القضايا الثقافية التي تشغل بال المسلمين.

ومصطلح " المعاصرة" مشتق من "العصر".

و"العصر" هو الفترة المحددة من الزمن، وقد أقسم الله به في القرآن، فقال تعالى: (وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ). [العصر: ١-٣].

وقد ينسب إلى العصر، فيقال: هذا أمر عصري، وهذا فهم عصري. و"المعاصرة" مشتقة من العصر. وتعني: الحياة وفق مبادئ العصر الحديث.

- **الدعوة إلى "المعاصرة"**:

المعاصرة: كلمة جذبة، ومصطلح مؤثر. فمن ذا الذي لا يحب أن يكون عصريًا، وان لا يستفيد من مكاسب وإنجازات العصر في حياته؟

لكن الدعاة إلى "المعاصرة" يريدون معاصرة خاصة، بفهم خاص.

الدعوة إلى المعاصرة معناها عندهم: دعوة المسلمين إلى أن يعشوا حياتهم العامة والخاصة وفق النظرة المادية الغربية، تلك النظرة المعادية للدين، والقائمة على الهوى والمزاجية، والحرية الشخصية المطلقة.

وإذا كانت النظرة المادية الغربية للحياة متعارضة مع التوجيه الإسلامي للحياة، فإن الدعوى إلى المعاصرة تعني ان يبتعد المسلمون عن إسلامهم، لأنَّه لا يتفق مع مبادئ العصر الحديث، وأن يقتدوا بالغربيين في حياتهم العامة والخاصة، والشخصية والجماعية.

وجذور الدعوى إلى المعاصرة قديمة، بدأت نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين. وتمثلت تلك الدعوى فيما يأتي:

١- إيفاد البعثات العلمية إلى بلاد الغرب ليدرس المتفوقون في جامعات أوروبا، وهناك يتم التأثير فيهم، وغرس الأفكار والثقافات الغريبة في تصوراتهم، بحيث يعيشون حياتهم وفق النظرة المادية الغربية. ولم يسلم من هذا الاحتواء إلا النادر من المبعوثين.

٢- عودة المبعوثين إلى بلادهم بتصور غربي مادي، وممارسات غربية باطلة، وتسلمهم مراكز التوجيه الفكري والتعليمي في بلادهم، وإقرارهم مناهج التربية والتعليم في المدارس والجامعات وفق النظرة الغربية، وتخريج أفواج كثيرة من الخريجين على تلك المناهج التعليمية الغربية.

٣- الترويج للدعوة إلى "المعاصرة" وفق النظرة الغربية للحياة في وسائل الترويج الإعلامي والفكري والأدبي، بتأليف الكتب والقصص والروايات والمسرحيات، والكتابة في الصحب والمجلات، وإعداد التمثيليات الإذاعية والتلفزيونية والمسرحية والسينمائية.

وبذلك انتشرت الدعوة إلى "المعاصرة" في بلاد المسلمين، ووضعت لها خطط وموازنات وأموال وطاقات!

أهم ما دعوا إليه:

كان أهم ما دعا دعاة المعاصرة المسلمين إليه هو:

١- سيادة العقل على النص، بهدف تحريف معاني بعض النصوص المتمثلة في الآيات والأحاديث، ووجوب إخضاع معاني النصوص الإسلامية للعقل البشري، وأخذ ما يتفق مع العقل، ونبذ كل ما يتفق معه، لأن العقل هو الحكم.

٢- التفسير العقلي لمسائل العقيدة الإسلامية، ومباحث الغيب فيها على وجه الخصوص، وتأويل تلك المباحث الغيبية تأويلاً عقلياً مادياً، فإن لم تقبل التأويل العقلي ألغيت، كما فعل دعاة المعاصرة العقلية مع حديث القرآن عن: الملائكة، والجن، والجنة، والنار والقبر بنعيمه وعذابه، والمعجزات الربانية...

٣- الدعوة إلى إلغاء القديم، لأنه يتنافى مع المعاصرة، وهو يعني الجمود والتخلف والرجعية والانحطاط، وهو عودة إلى عهود الظلام والجهل والبدائية.

٤- تغيير كل ما لا يتفق مع المعاصرة، ويتعارض مع النظرة الغربية للحياة العامة والخاصة، باعتبارها معادية للتقدم والحضارة والمدنية.

وبما أن النظرة الغربية للحياة مادية، فإن الإسلام يرفضها في مجملها، وينكرها ويحرمها، فالدعوة إلى المعاصرة الغربية تعني تغيير مبادئ الإسلام وحقائقه وقيمه المتعارضة مع الحياة الغربية: مثل تحريم الربا، وتحريم الزنا، وتحريم التبرج والاختلاط، وتنظيم الصلاة بين الرجال والنساء.

٥- تحرير المرأة من القيود التي وضعها الإسلام، والتي أدت إلى تعويق حركتها. فالمعاصرة عند أصحابها تدعوا المرأة إلى أن تكون حرة في كل شيء: في أزيائها وزينتها، وفي صلاتها وكلامها وصداقاتها وسلوكها: تصادق من تشاء، وتكلم من تشاء، وتجلس مع من تشاء، وترقص مع من تشاء، وتخرج مع من تشاء، وفي النهاية تحب من تشاء، وتنام عند من تشاء.!!

ومن دعاها إلى الالتزام بالعفة والطهارة، والأدب والحياء، والمحافظة على عرضها وخلقها، فإنه عدوٌ لها، معيق لحركتها، وعليها أن ترفض دعوته، وأن تكون "عصرية".

٦- الدعوة إلى "تطوير" مختلف المناهج الفكرية والتعليمية والتربوية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإلغاء ما لا يتفق مع المعاصرة منها، بحجة أنه قديم متخلف رجعي مرفوض.

٧- الدعوة إلى أخذ كل ما عند الغرب، في كل شيء بحجة المعاصرة، لأن العالم الغربي متقدم متحضر عصري، والعالم الإسلامي متخلف في كل شيء، فإذا أراد المسلمون أن يكونوا "عصرين" فلابد أن يأخذوا كل ما عند الغربيين، وأن لا يقولوا هذا حلال، وهذا حرام، وهذا يتفق مع إسلامنا فنأخذه، وهذا يتعارض معه فنرفضه، عليهم أن يدعوا الإسلام جانبًا، لينظم علاقة الإنسان مع ربه، وأن يعيشوا حياتهم كما يعش الغربيون.

- **بين معاصرتنا ومعاصرتهم:**

إن إسلامنا يدعونا إلى رفض "المعاصرة" بالمفهوم السابق، وعدم قبول تبريراتهم التي يريدون بها خداعنا وتضليلنا.

وإن إسلامنا ليس معاديًا للحياة الصحيحة المستقيمة، وليس عدوًا للعصر والعصرية والمعاصرة، لكن بالمفهوم الصحيح الصواب، وإن الإسلام يمكن إتباعه من أن يعيشوا عصرهم يتفاعل وحيوية وإيجابية، وهو يوجد لهم المظاهر العصرية المقبولة، المتفقة مع حقائقه وقيمه ومبادئه.

لقد كان المسلمون السابقون "عصريين"، بمعنى أنهم عاشوا عصرهم بحيوية وتفاعل وانسجام، ذلك العصر الذي أنشأه وأوجده لهم إسلامهم، فكانت قيم ومناهج ذلك العصر منبثقة عن الإسلام، ومتوافقة معه... ولم تكن

"المعاصرة" عند المسلمين السابقين مشكلة أو قضية أو تحديًا ثقافيًا، لأنها كانت معاصرة مقبولة تتقف وروح الإسلام.

أصبحت "المعاصرة" مشكلة وقضية في عصرنا، لأن هذا العصر شهد انحسار الإسلام من الواقع، وإبعاده عن مجتمعات المسلمين، وانتصار النظرة الغربية الجاهلية للحياة، فصارت "المعاصرة" تعني الحياة وفق تلك النظرة الغربية الجاهلية المتعارضة مع الإسلام، وصار دعاة المعاصرة بين المسلمين دعاة إلى الابتعاد عن حقائق الإسلام والتبعية للغرب.

إن إسلامنا كفيل بحسن توجها للحياة المعاصرة، كي تعيش عصرنا، ونحياه حياة صحيحة إسلامية مقبولة. بشرط أن نعيد إسلامنا لتوجيه مجتمعاتنا، وحكم واقعنا، وإنشاء مختلف مناهج الحياة وفق مقرراته وحقائقه.

سنكون معاصرتنا إسلامية صحيح عندما ينظم ويوجه إسلامنا حياتنا، وسنكون "عصريين" نعيش عصرنا على أساس إسلامنا، وستكون حياتنا الإسلامية عزيزة كريمة سعيدة!

أما "المعاصرة" وفق النظرية الغربية فإنها مرفوضة عندنا لمعارضتها لدينا.

أهم أسباب رفضنا للمعاصرة بذلك المفهوم هي:

١- تحقق التبعية للحياة الغربية، حيث ينسلخ المسلمون عن إسلامهم، ويبتعدون عن حقائقه، ومبادئه، ويعيشون حياتهم على أساس الهوى والانحراف والفساد والانحلال.

٢- تلغى تميز الأمة المسلمة، بشخصيتها الإسلامية القوية، ومناهجها الإسلامية الحضارية ورسالتها الإسلامية العالمية.

٣- العصر الحديث الذي صنعته النظرة الغربية للحياة ليس هو العصر المأمول المنشود، ولا يصلح أن يكون مثلا يحتذى، يعيشه المسلمون وفق النظر الغربية، ومشكلات هذا العصر عديدة مستعصية على الحل، وأمراضه خطيرة فتاكة، منها أزماته السياسية والاقتصادية والاخلاقية والحضارية، ومنها الأمراض النفسية والعقلية والجنسية، وفي مقدمتها الإيدز والمخدرات.

٤- التناقض جذري بين إسلامنا ومعاصرتهم: إسلامنا يقوم على العبودية لله، ومعاصرتهم تقوم على إقصاء الدين عن الحياة، ورسالتنا تقوم على احترام إنسانية الإنسان وتحريره، ومعاصرتهم تقوم على إعلاء قيم المادة عليه، وحياتنا الإسلامية تقوم على العفة والطهارة والنظافة والسمو، وحياتهم تقوم على الانغماس في الشهوات والانحراف والانحلال!

فكيف نلتقي مع معاصرتهم؟ والاختلاف جذري بيننا وبينهم!!

إن رفضنا لمعاصرة الغربيين لا يعني ألَّا نأخذ منهم أي شيء! فالعصر صناعة بشرية، منها الطيب ومنها الخبيث، ومنها المقبول، ومنها المردود، فنحن لا نأخذ منهم الأفكار والتصورات والممارسات المخالفة لإسلامنا، ولكننا نأخذ منهم جوانب الإبداع المادي، ومظاهر الصناعات التكنولوجية، وألوان الترتيب الإداري والتنظيمي والتعليمي، ووسائل التقدم الصناعي.

رابعاً: الحداثة:

الحداثة مصطلح حديث معاصر، وهي مصدر من الفعل (حدث)، وهو وقوع الشيء، ومن "الحديث" وهو نقيض القديم تقول: هذا حديث واقع، وهذا شيء جديد، ليس قديمًا. والحداثة أول الأمر وابتداؤه، وهي الشباب وأول العمر.

وهذا المصطلح غربي وافد، غريب على تصورنا وإسلامنا وفهمنا للحياة.

"**الحداثة**" **عند الغربيين تعني:** إقامة نظام للعلم والمعرفة والثقافة والحياة، وفق مقرَّرات وقيم مادية لا دينية، وإعادة تفسير الحياة على أساسها.

والحداثة أيضًا: اتجاه فكري لا تخصُّ مجالات الإبداع الفني والنقد الأدبي، لكنها تخص الحياة الإنسانية في كل مجالاتها المادية والفكرية على حد سواء.

والحداثة من أحدث النزاعات الفكرية والغربية، و"الصراعات" الثقافية عند الغربيين.

وتركز الحداثة على الجانب الوجداني والأدبي والفني في النتاج الإنساني. وهناك صلة بين الحداثة والمعاصرة، كما أنه هناك فرق بينهما: فكلاهما يدل على معنى واحد إجمالاً، وهو التعبير عن الحالة الإنسانية الحاضرة للمجتمع الإنساني.

إلا أن مصطلح المعاصرة أكثر التصاقاً وتعبيراً عن الشق الفكري والأيديولوجي، بينما مصطلح الحداثة أكثر التصاقاً وتعبيراً عن الجانب الفني الأدبي(٥)

المعاصرة تهتم بالجانب الفكري الإنساني المعاص، والحداثة تهتم بالجانب الوجداني الإنساني المعاصر.

والحداثة دعوة إلى إعادة تفسير الحياة والوجود وفق أحدث الأفكار والقيم الموجودة في بلاد الغرب، وإعادة عرض التصورات والفلسفات والمبادئ وفق أحدث القيم والنظرات الغربية، والثورة على المعتقدات والتصورات والمناهج القديمة، لأنها لا تتفق مع "الحداثة".

ويستخدم دعاة الحداثة الآداب والفنون لنشر قيمهم الحداثية الحديثة، بإعتبارها من نتاج الوجدان الإنساني الحديث، ويركزون على الروايات والقصص والمسرحيات والقصائد الشعرية، والتحليلات الأدبية النقدية، والدراسات الفكرية والفلسفية والاجتماعية.

الحداثيون العرب:

بدأت "الحداثة" عند الغربيين: وقامت على النتاج الوجداني عندهم، وركزت على هموم ومشكلات وضياع الإنسان عندهم، وظهرت دراسات "حداثية" كثيرة في الأدب الإنجليزي والفرنسي والألماني والأمريكي والأسباني الحديث، ووجد "الحداثيون" الغربيون دعاية إعلامية عالمية، ودعماً كبيراً من الغربيين، وانتشرت الدراسات الحداثية المتمثلة في الروايات والقصص والقصائد والتحليلات الأدبية والنفسية والوجدانية، وترجمت إلى مختلف اللغات، ومنها اللغة العربية.

وتلقف كتاب وأدباء عرب الدعوة الحداثية الغربية، كعادتهم في أخذ كل ما يأتيهم من بلاد الغرب، وأعجبوا بالحداثة الغربية، وعملوا على نشرها والترويج لها، وترجموا العديد من النتاج الحداثي الغربي، وألفوا نتاجاً حداثياً عربياً، لغته عربية، لكن أفكاره وقيمه غربية.

إن الحداثة- كتعبير عن الجانب الوجداني الفني والأدبي في الحالة الزمانية الحاضرة- أكذوبة كبرى، هدف الحداثيون العرب إلى تبير اغترابهم الوجداني، وتبعيتهم الأسلوبية لمدارس واتجاهات الفن والأدب الغربي الحديث.

إنه لا يوجد أصلاً شيء اسمه الحداثة، كقيمة منضبطة مطلقة، لأن الوجدان لا يعرف الإطلاق، إنما يعرف الخصوصية عندما يكون معبراً عن هوية الأمة المتميزة.

وإن الذي يسود النتاج الإنساني الفني والأدبي المعاصر هو روح وذوق الهوية الحضارية الغربية، تلك الحضارة التي عملت على اختراق القيم الحضارية الأخرى، حتى أو شكت أن تذيبها في هويتها، وتمحو كافة معالمها التاريخية.

والمتأمل في عامة مظاهر النتاج الفني والأدبي للإنسان العربي المعاصر يجدها – إلا قليلاً منها – تتحرك من جذور أوروبية: إغريقية – مسيحية تعبر عن وجدان أوروبي، في همومها وخيالاتها وحسها الفني، تحت ستار ما يسمى بالحداثة.

وقد سأل صحافي جزائري المستشرف الفرنسي المعاصر "شارل بيلا" ماذا تقرأ؟ الأدب العربي القديم أم الحديث؟

فأجابه على الفور: أقرأ الأدب العربي القديم وحده!

وسأله الصحافي فزعاً: ولماذا لا تقرأ الأدب العربي الحديث؟

فأجاب المستشرق: لأنه أدب أوروبي مكتوب باللغة العربية!

وثمة كلمات وتعليقات أخرى مشابهة، شديدة السخرية والهزء، بهذا النتاج العربي المشوه، والمدعو نتاج " الحداثة" صدرت عن إعلام الأدب الأوروبي المعاصر[٦]

ومن كبار الحداثيين العرب: أدونيس – د: علي أحمد سعيد – أو عبد الله العروي، والدكتور كمال أبو ديب، وسميح القاسم، وعبد الوهاب البياتي، ومحمد عفيفي مطر، وحسين مروة، وغيرهم.

وتم التمكين للحداثيين العرب في الصحف والمجلات، وتسلموا كثيراً من المنابر الأدبية والثقافية، وتم التعريف بنتاجهم الحداثي، المتمثل في الروايات والقصص والمسرحيات والمقالات والتحليلات، وسخرت لهم مختلف وسائل الإعلام للترويج لأفكارهم ومبادئهم...

إن "الحداثة" دعوة غربية وافدة، وإنها ليست مجرد مذهب أدبي حديث، إنما هي فلسفة عامة، وفكر مادي، وفهم للحياة والإنسان والعلم والمعرفة والثقافة، على أسس غربية عن التصور الإسلامي، وتدعو الحداثة إلى التخلي عن الثقافة الإسلامية ومبادئها، لأنها قديمة رجعية متخلفة، وإعتناق المبادئ الحداثية الغربية، وإحلالها محل الإسلام وحقائقه ومقرراته.

وإن "الاصالة" – بالمفهوم الذي سبق أن عرضناه – لهي أبلغ رد بصير، على دعوات المعاصرة والحداثة، والتجديد على الأسس اللادينية الغربية[٧]

٦
٧

الثابت والمتغير في منهج الإسلام.

الثبات من خصائص الإسلام، تميز به عن باقي الأديان والأفكار والمبادئ، وقد "وازن" الإسلام توازناً دقيقاً بين الثابت والمتغير، بحيث لم يطغ الثابت على المتغير، ولم يجر المتغير على الثابت، وهو تحديده للثابت والمتغير إنما يحقق مصلحة المسلمين الملتزمين به، وهو الدين الخاتم الذي ختم الله به الأديان والرسالات، وأبقاه ديناً حياً حتى قيام الساعة، ولا بد أن يحمل الإسلام عوامل بقائه وحيويته في تحقيق رسالته حتى قيام الساعة.

وإن تحديد وتقرير الثابت والمتغير ليس مشكلة في الإسلام، ولم يكن ذلك قضية من القضايا الخطيرة في الإسلام، ولم يتم في تصور وحياة المسلمين بثورة ومعركة وصراع مرير ... إنما تم ذلك بتقرير تشريعي تضوري، وانسجام نفسي متوازن!

الثوابت في اللغة:

"الثاء والباء والتاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء، يقال: ثبت ثباتاً وثبوتاً، ورجل ثبت وثبيت"

تقول: "ثَبَتَ الشيءُ في المكان يثبُت ثَبَاتًا وثُبُوتًا دامَ واستقرَّ فهو ثابتٌ" ويقال: أَثْبَتَهُ السُقْمُ، إذا لم يفارقه. وقوله تعالى: "لِيُثْبِتوكَ" أي يَجْرَحوكَ جِراحةً لا تقوم معها. وفي حديثِ مَشُورةِ قُرَيْشٍ في أَمر النَّبِيّ _صلَّى الله عليه وسلّم_، قال بعضُهم: إِذا أَصْبَحَ فأَثْبِتُوهُ بالوَثَاق.

ولهذا الجذر إطلاقات كثيرة وجميعها اشتمل على أصل المعنى بنوع تخصيص فمن ذلك:

١- قولهم: الثوابت من الكواكب غير السيارة فكأنهم أرادوا الدائمة المستقرة في مكانها.

٢- وقالوا: أسَاسٌ ثَابِتٌ لاَ يَتَزَعْزَعُ أي رَاسِخٌ، مَتِينٌ.

٣- وقولهم: ثَابِتٌ فِي مَوْقِفِهِ لاَ يَحِيدُ عَنْهُ بمعنى رَاسِخٌ، مُقيمٌ عَلَيْهِ لاَ يُغَيِّرُهُ، ومنه قول الله _تعالى_: "**كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**"

٤- وقالوا: ثَابِتُ الإِرَادَةِ وَالعَزْمِ أي الْمُسْتَقِرُّ، الْمُصَمِّمُ القَصْدِ

٥- وقالوا: أَمْلاَكٌ ثَابِتَةٌ أوْ أمْوَالٌ ثَابِتَةٌ أي أمْلاَكٌ أوْ أمْوَالٌ غَيْرُ مَنْقُولَةٍ

اصطلاحا:

يطلق "الثَّوَابِتُ" على "مَا يَدُومُ وَيَرْسَخُ وَيَثْبُتُ غَيْرُ قابِلٍ لِلتَّحَوُّلِ أو التَّغَيُّرِ عَكْسَ الْمُتَغَيِّر وَما هُوَ عَارِضٌ"

لذلك الثوابت في الشرع هي الأمور القطعية ومسائل الإجماع التي تمثل مخالفتها نوعاً من الشذوذ أو الزلل.

التوازن بين الثبات والتغير:

الثبات في الإسلام ليس شاملاً لكل شيء، وإنما هو في حقائق وقواعد وأسس معينة، لابد من ثباتها ... لأن الثبات المطلق في كل شيء هو جمود وتحجر، وإيقاف للحياة والحركة، ولا يمكن أن تحيا أمة، أو تؤسس حضارة، إذا كل شيء في حياتها وحركتها ثابتاً، وإذا صب دينها كل شيء في قوالب جامد ثابته، وإذا ألغى تفكيرها واجتهادها واستنباطها!

كذلك التغير في الإسلام ليس مطلقاً شاملاً، إنما هو في تفصيلات وجزئيات وفرعيات وأساليب، لابد من تغيرها ... لأن التغير الشامل لكل شيء فوض وانفلات وحيرة وضياع، ولا يمكن أن تحيا أمة أو تؤسس حضارة، إذا كان كل شيء في تصورها وفكرها وثقافتها متغيراً، يتبدل وفق الهوى والمزاج والحركة!!

لابد من " التوزان" الدقيق بين الثبات والتغير، ومن تحديد الحقائق والمبادئ الثابتة، وجعل التغير لغيرها من الفرعيات والوسائل والأساليب، ولابد

من تحقيق التناسق والانسجام بين الثابت والمتغير، ومن ضبط المتغير بالثابت، لئلا تكون حركته انقلابية تدميرية.

والإسلام وحده هو الذي حقق التوازن الدقيق بين الثابت والمتغير، وضبط حركة التغير والتطور بالثابت المستقر.

أسباب الثورة على الثوابت في بلاد المسلمين:

وصلت دعاوى التغير الشامل والتطور المطلق والثورة على الثوابت إلى بلاد المسلمين، وأصابت تلك العدوى الوبيئة عقول وأفكار أبناء المسلمين... وشنوا حرباً على ثوابت الإسلام، واعتبروها جموداً وتخلفاً ورجعية، لا تتفق مع التطور العالمي المعاصر! ودعوا إلى التغير في كل شيء، لنكون متحضرين متمدنين.

ويمكن أن نسجل الأسباب التالية لاستجابة هؤلاء المثقفين لتلك الدعاوي الباطلة:

١- جهل أبناء المسلمين بإسلامهم – ومن جهل شيئاً عاداه–وعدم معرفتهم للثوابت الإسلامية، وفقدانهم التوازن الإسلامي بين الثوابت والمتغيرات في الإسلام.

٢- الفراغ الروحي الذي يعانونه، وعدم تحصين قلوبهم ونفوسهم أمام دعاوى الغرب الوافدة، فغرتهم تلك الدعاوى، واستقرت في عقولهم وقلوبهم.

٣- تمكن أعداء الإسلامية من مختلف وسائل التأثير والتوجيه الإعلامي، وتوجيه تلك الوسائل العديدة المؤثرة لمحاربة الثوابت الإسلامية، والدعوى إلى تغييرها.

٤- إقصاء الإسلام عن الحكم والتوجيه في بلاد المسلمين، "وحشره" في المساجد والمحاكم الشرعية، وإقامة حياة المسلمين ومناهجهم ودولهم على غير أساس الإسلام.

٥- محاربة المسلمين الثابتين على الثوابت، والمدافعين عنها، ومنعهم من استخدام الوسائل الإعلامية الحديثة لبث دعوتهم ونشرها، وشن حملات التشكيك والاتهام والإدانة ضدهم، والسخرية منهم والاستهزاء بهم!.

٦- وضع مناهج التعليم والتوجيه في المدارس والجامعات وفق النظرة التعليمية الغربية، الخارجة على الثوابت، وتخريج الأجيال الجديدة على تلك المناهج، فصاروا "غرباء" عن إسلامهم وقيمهم وآبائهم ...

وأدت الثورة على الثوابت في بلاد المسلمين إلى تغيير كثير من الثوابت في حياة الأجيال الجديدة، واتباعهم قيماً وعادات وتصرفات جاهلية غربية وافدة، غريبة عن حقائق الإسلام[٨]

ميزان الثابت والمتغير في الإسلام:

الإسلام "يوزان" بين الثابت والمتغير، وينسق بينهما، بحيث لا يطغى أحداهما على الآخر، فلا يتحول الثابت إلى جمود، ولا يتحول التغيير إلى انفلات، كما حصل عند الغربيين، حيث جمد الثبات حركتهم، فلما ثاروا عليه بالتغيير انفلتوا وضاعوا.

الإسلام يجعل الثابت هو الأساس، ويجعل التغير تابعاً له، فيضع القواعد والحقائق الثابتة، ويمنع تغييرها، ثم يجعل التغير محكوماً بها، وحركة ضرورية

تتم من خلالها، أي أنه يضبط التغير بالثبات، ويجعل حركته داخل إطار الثبات.

فقانون ضبط المتغير بالثابت في الإسلام يعني أنَّ هناك ثباتا في مقومات التصور الإسلامي الأساسية، وقيمه الذاتية، فهي لا تتغير ولا تتطور، حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية، وأشكال الأوضاع العملية فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع، يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور. ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة، ولكنه يقتضي السماح لها بالحركة–بل دفعها إلى الحركة – ولكن تظل محكومة بالثوابت التي تضبط حركتها.

والتغير في الإسلام يتمثل في " الحركة" الضرورية، وهذه الحركة تكون في المساحة الواقعة خارج الثوابت، تتحرك المتغيرات المختلفة في هذه المساحة المأمونة المنضبطة ... فتكون حركة متوازنة متناسقة، راشدة نافعة، مشدودة إلى الثوابت الذي تحركها وتوجهها، وتضبطها وتنظمها، فلا تخرج عن حدودها!!

لأن الثوابت هي الحقائق والقواعد والأسس والمبادئ والمقررات والقيم، التي جاء فها الإسلام وقررها، وجعلها ثابتة راسخة ملزمة للناس في كل زمان ومكان.

والمتغيرات تكون في الظواهر الواقعية، والأشكال المادية، والجزئيات والفرعيات والتفصيلات الثانوية القابلة للتغيير ... وهذه المتغيرات مشدودة إلى الثوابت، ومحكومة بها.

الثابت والمتغير في لباس المرأة: ولنضرب على ذلك مثالاً، فبالمثال يتضح المقال:

لباس المرأة المسلمة. ما هو الثابت والمتغير فيه؟ وكيف يحكم المتغير بالثابت بالنسبة إليه؟

الثابت بالنسبة للباس المرأة هو:

١- أن يستر اللباس جميع بدن المرأة إلا الوجه والكفين.

٢- معنى ستر اللباس بدن المرأة ألَّا يكون شفافاً، يرى جسمها من خلاله، وألَّا يكون "مجسماً" يجسم بدن المرأة ويصفه ويحدده.

٣- أن لا يكون هذا اللباس كلباس الرجال، فلا يجوز للمرأة أن تتشبه بالرجال في لباسه، وأن تلبس الملابس الخاصة به.

٤- أن لا يكون ذلك اللباس لباس شهرة، لافتاً لأنظار الرجال، بألوانه المثيرة الجذابة، أو شكله الخاص المميز اللافت للنظر، أو العطر عليه الذي يشمه الرجال ويلتفتون إلى صاحبته.

هذه الاسس الأربعة ثابتة في لباس المرأة، لا تتغير في زمان أو مكان، سواء كان الناس بدائيين، أو كانوا متقدمين متطورين يعيشون في القرن الحادي والعشرين!.

والتغير في بعض الأشكال والألوان والتفاصيل الفرعية المتعلقة بلباس المرأة، فالإسلام ترك للمرأة حرية الاختيار في شكل لباسها ولونه، وكيفية تفصيله وخياطته ونوعه ومستواه، بشرط أن لا تخرج في ذلك الثوابت الأربعة السابقة.

فالمرأة في اختيارها للباسها تتحرك كما تشاء، وتغير ما تشاء، شرط أن يكون اختيارها محكوماً بالثوابت، وأن تكون حركتها داخل الإطار الثابت وحول المحول الثابت!!.

أبرز الحقائق الثابتة في الإسلام:

الثبات في الإسلام في حقائقه الأساسية، المتمثلة في مبادئه وأسسه ومقرراته، في العقيدة والشريعة، والأخلاق والأحكام"، والمناهج والتوجيهات.

ويمكن أن نذكر أهم وأبرز تلك الحقائق الثابتة فيما يأتي:

١- أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

٢- أركان الإسلام الخمسة: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

٣- كل ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى: من توحيده وإثبات أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأفعاله العظمة، وإفراده بالألوهية والربوبية والحاكمية.

٤- عبودية كل المخلوقات لله سبحانه: من الملائكة والجن والإنس، والكون وما فيه.

٥- الإسلام هو وحده الدين المقبول عند الله: وهو الناسخ لما سبقه من الأديان والرسالات، ومن لم يدخل في الإسلام فهو كافر مخلد في النار.

٦- الإنسان هو الخليفة في الأرض: وهو أكرم من فيها، وكل ما فيها مسخر له.

٧- عباده الله هي وظيفة الإنسان في هذه الحياة: وفطرة الإنسان متوجه إلى إله، وهو مأمور أن يؤدي وظيفته، وأن يعيش حياته بالعفة والطهارة والسمو.

٨- الكتاب والسنة هما الأساس في حياة المسلمين: والعقل المسلم تابع لهما، ويجب أن ينشأ المجتمع الإسلامي وفقهما، وأن يطبق أحكامها وتوجيهاتهما.

٩- وجوب الالتزام بحكم الله وإقامة المناهج والأحكام والقوانين والتشريعات على أساسه، ولا يجوز إقرار أي حكم أو قانون أو تشريع يخالف حكم الله.

١٠- وجوب التحلي بمكارم الأخلاق وفضائلها: والتخلي عن مفاسدها ومساوئها.

الثابت والمتغير في الأحكام الشرعية:

كما وازن الإسلام بين الثابت والمتغير في الحقائق والتصورات، فجعل الثابت في الأصول والأسس والمبادئ والقواعد، وجعل التغير في الأشكال والمظاهر والجزئيات والتفصيلات ... كذلك وازن بين الثابت والمتغير في الأحكام الشرعية.

جعل الإسلام الثابت في القواعد والمقاصد والأصول والمقررات، ومنع أن تمتد إليها الأيدي والعقول والأفكار بالتغيير أو التبديل أو الاجتهاد ... وجعل الإسلام التغير في المسائل الفرعية، والأمور الجزئية التفصيلية، والمباحث المستجدة، القابلة للنظر والاجتهاد والاختلاف والأخذ والرد.

وأبرز المجالات الثابتة في الأحكام الشرعية هي:

- المصادر الأصلية النصية للتشريع الإسلامي: وهي المحصورة في آيات القرآن وما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فمما لا شك فيه أن الكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان للتشريع، ولا يجوز أن يقدم عليهما أي مصدر تشريعي آخر.

- مقاصد الشرعية الأساسية: فقد حرص التشريع الإسلامي على تحقيق المقاصد الأساسية لحياة الناس، وهي التي تحفظ الضروريات الخمس، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ المال، وحفظ العرض.
- القواعد الفقيهة العامة: التي تنظم حياة الناس، وتحقق الخير لهم، والمستمدة من روح التشريع الإسلامي السامي. ومن تلك القواعد: " لا ضرر ولا ضرار " و " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " و "المشقة تجلب التيسير".
- الواجبات القطعية: التي وجبت بأدلة قطعية ثابتة، من آيات القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل وجوب الصلوات الخمس، وصيام رمضان، وإخراج الزكاة، وحج البيت للمستطيع، وما دخل ضمن قاعدة المعلوم من الدين بالضرورة.
- المحرمات اليقينية: التي ثبتت حرمتها بالأدلة القطعية، والتي تدخل ضمن قاعدة "المعلوم من الدين بالضرورة". وذلك مثل حرمة: الزنا، واللواط، والربا، وشرب الخمر، والسرقة، والغش، والاحتكار...
- المبادئ العامة المنظمة لحياة المسلمين: وهي المبادئ التي أقرها الإسلام، لبناء الدولة، وإنشاء المجتمع، مثل: شمول الإسلام لكل مناهج الحياة، وإيجابه الحكم بالكتاب والسنة، وإفراده الله بالحاكمية، ووجوب تنصيب الخلفية، ووجوب الحكم بالعدل والشورى...
- الدعوة إلى مكارم الأخلاق والحث عليها، كالصدق والجدية، والحلم وسعة الصدر، والصبر والشجاعة ... والنهي عن رذائل الأخلاق والتنفير منها، كالكذب والغش، والخيانة والغضب، والغيبة والنميمة، وسوء الظن والجبن...

- تنظيم العلاقة بين الجنسين: بالحث على الزواج والترغيب فيها، وإقرار حقوق كل من الزوجين وواجباته، والدعوة إلى العفة والطهارة، وتحريم الرذيلة والانحلال، وتحريم تبرج المرأة واختلاطها بالرجال، والدعوة إلى غض البصر وحفظ الفرج.
- وجوب الدعوة إلى الإسلام وتبليغه للآخرين: أوجب الإسلام على المسلمين الدعوة والنصيحة والإرشاد فيما بينهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أوجر عليهم الانطلاق لدعوة غير المسلمين للدخول في الإسلام، وإقامة الحجة عليهم، وأوجب عليهم جهاد الأعداء الذين يقفون في وجه الدعوة، أو يفتنون المسلمين عندهم، أو يتآمرون على بلاد المسلمين، أو يعتدون عليها!.

هذه المجالات العامة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، مهما كان واقع المسلمين، ومهما كان زمانهم ومكانهم ... وأي تغيير فيها هو تحريف وخروج من ثوابت الإسلام!

أما التغير فهو في الفرعيات والجزئيات والأشكال والتفاصيل القابلة للاجتهاد.

وأبرز المجالات المتغيرة في الأحكام الشرعية هي:

- الأحكام الفرعية الجزئية المستمدة من نصوص ظنية الدلالة: فتكون قابلة للاجتهاد وتحتمل عدة احتمالات ... مثل اختلاف العلماء في تحديد نصاب السرقة، الذي تقطع به يد السارق، هل هو دينار، أو ربع دينار، أو ثلاثة دراهم، أو عشرة دراهم، أو خمسون درهماً.

فتحريم السرقة، وقطع يد السارق والسارقة من ثوابت الأحكام الشرعية، اليت لا تقبل التغيير، والنصاب الذي تقطع به يد السارق قابل للتغيير والترجيح والاجتهاد، لوجود أقوال خلافية في تحديده، مبنية على نصوص ظنية[٩]

- الأحكام المستمدة من نصوص معللة يعلل خاصة: وقد تتغير هذه العلل بتغير الزمان أو المكان، فتوقف تلك الاحكام عند عدم تحقق العلة... مثل إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة. فيجوز إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة تأليفاً لقلوبهم، وترغيباً لهم في الإسلام، كما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء من غنائم هوزان، مثل أبي سفيان وصفوان بين أمية والزيرقان ابن بدر... وفي خلافة عمر رضي الله عنه لم يعطي المؤلفة قلوبهم من الزكاة، لأن الإسلام صار قوياً، لا يحتاج إلى تأليف قلب أحد. فمن شاء فليؤمن وما شاء فليكفر.

وعندما يعود المسلمون إلى الضعف، تعود العلة من جديد، ويجوز تأليف قلوب أناس عن طريق إعطائهم من الزكاة، فإعطائهم وعدمه مرتبط بقوة المسلمين وضعفهم!!.

- الأحكام المستمدة من مصادر مختلف فيها: هناك بعض المصادر التشريعية مختلف فيها بين العلماء، فمنهم من يقبلها ويعتمدها، ومنهم من يقبلها ويعتمدها، ومنهم من لا يعتمدها... مثل: القياس، والاستحسان، والاستصحاب، والمصالح المرسلة.

٩

- الأحكام المبنية على قواعد العرف: وهذا العرف يتغير بتغير الزمان والمكان، حسب حاجات الناس وممارستهم في حياتهم، كتجديد الرواتب والأجور، وتقدير نوع وكمية نفقة الزوجة على زوجها.
- الكماليات والتحسينات: وهذه تختلف باختلاف الزمان والمكان، وهي تتعلق بمسائل فرعية، وأشياء كمالية غير ضرورية، يفعلها الناس من أجل تحسين حياتهم، ورفاهية عيشهم.

مشكلات الشباب وموقف الاسلام منها:

الشباب في كل أمة هم ثروتها، ومصدر قوتها وعزتها، وعدة مستقبلها، وكان للشباب في تاريخ الدعوة الإسلامية تاريخ حاف، وكان لهم الفضل الأكبر في حمل الدعوة الإسلامية، وكذلك في صنع الحضارة الإسلامية وقيادة الجيوش المقاتلة في سبيل الله، وإذا كانت الحاجة إلى الشباب في الماضي ملحة فهي في وقتنا أشد إلحاحاً، وأكثر وضوحاً.

والشباب اليوم هم عُدة الإنتاج في شتى مجالات الحياة، وأغلى رأسمال للأمة التي تطمح أن تصنع لها حاضراً زاهراً ومستقبلاً مشرقاً، فالدفاع عن الوطن وتحرين الأرض من أعداء الأمة، ودحر الأعداء وتحرير المقدسات، يحتاج إلى طاقات الشباب لأنهم أقدر على القيام بها، يدفعهم إلى ذلك قوة

العقيدة، ووضوح الرؤية حتى يكون جهادهم في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى قال تعالى (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) [النساء : ٧٥] .

والإنتاج الاقتصادي في سائر ميادينه من صناعية وزراعية وتجارية تحتاج إلى السواعد المفتولة، والطاقات الشابة التي تزرع الأرض الطبية، وتشيد المصانع المتطورة، ولا شك أن الشباب هم أقدر فئات الأمة على الانتاج ودفع عجلة التقدم الاقتصادي للوطن في طريق التطور والنماء.

وكذلك الانتاج العلمي في سائر ميادين البحث العلمي والاصلاحي الاجتماعي، كل ذلك بحاجة إلى طاقة شابه مخلصة، تدعو إلى الخبر دون كلل، ولا شك أن الشباب هم أقدر الناس على الانصاف بصفة هذه الأمة الداعية إلى الخير والآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر.

الغاية من إعداد الشباب المسلم:

الشباب في نظرة الإسلام عمادة الدعوى إلى الله؛ وذلك لأن عملية الدعوة والاصلاح تحتاجان إلى طاقات الشباب وصبرهم على الأذى، قال تعالى في وصفه لأهل الكهف (... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى) [الكهف :١٣]، فالفتية المؤمنون بربهم أقدر على مقارعة الظلم والطغيان، قال تعالى بمدح طالوت وجنوده إذ ارسله لهداية قومه وقيادتهم (وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ) [البقرة : ٢٤٧]. وسيدنا إبراهيم عليه السلام كان فتى قوياً وهو يقارع الباطل

وطواغيته والكفر وأصنامه، ويحيى عليه السلام يؤتيه٩ الله الحكمة صبياً، ليحمل أعباء الدعوة بقوة قال تعالى (يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا) [مريم: ١٢] وسيدنا محمد عليه الصلاة السلام خاتم الأنبياء والمرسلين، وقدوة المربين والمصلحين أرسله الله وهو في أوج الشباب.

والذين آمنوا بالله واتبعوا الرسول في بداية الدعوة الإسلامية وكان عددهم نحو أربعين فرداً جميعهم من الشباب، انطلقوا ينشرون الدعوة، ويؤسسون دولة الإسلام، ويفتحون بلاد العالم المعروف في أقل من ربع قرن. " فقد كان علي بن أبي طالب عندما أسلم في الثامنة من عمره، وكان أسماء بنت أبي بكر في العاشرة من عمرها، وأسلم الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب وهو في العشرين من عمره، وأسلم طلحة بن عبيد وهو ابن إحدى عشرة سنة، ومسعود ابن ربيعة وهو ابن سبع عشرة سنة، وجعفر بن أبي طالب وهو ابن ثمان عشرة سنة، والخليفة الثالث عثمان بن عفان وهو ابن عشرين عاماً[١٠]

ولقد عين الرسول عليه الصلاة والسلام أسامة بن زيد قائداً لجيوش المسلمين وهو في حدود الثامنة عشر من عمره لمقارعة إمبراطورية الروم، وكان في جيش أسامة الشاب شيوخ المهاجرين والأنصار، كما أرسل عليه السلام معاذ بن جبل قاضياً على اليمن وهو في ريعان الشباب وغيرهم كثير من فتيان الإسلام.

ونظراً لأهمية الشباب فقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين أن يغتنموا خمساً قبل خمس منها الشباب قبل الهرم، والصحة قبل السقم، وبين

المنزلة العظيمة للشباب الذي ينشأ في طاعة الله، فقال صلى الله عليه وسلم: "**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: منهم ... وشاب نشأ في عبادة الله**"[١١]

من هنا كان الحرص على الافادة من الشباب في تحقيق المهام الصعبة وتذليل العقبات ومواجهة التحديات التي يفرضها منطق التغيير الحضاري...

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن التحديث عن مشاكل الشباب وعلاجها لا يعني إغفال دور الشيوخ والكهول أو التقليل من شأنهم كما كان حال الشيوعيين حينما طالب أحد زعمائهم بعد الثورة بإبادة جميع المسنين حتى لا يكونوا كلاً على الدولة[١٢]

ولكن الامانة العلمية والحرص على طاقة الشباب في الأمة هي التي تدفع كل مخلص إلى معالجة موضوع الشباب ومشكلاتهم بكل اهتمام.

أهم المشكلات التي تواجه الشباب وموقف الإسلام منها:

مشاكل الشباب متنوعة وكثيرة، لأن الإنسان في مرحلة الشباب يكون على جانب كبير من التطور الجسمي والفكري والعقلي، فهي مرحلة النمو التي تحصل فيها تطورات كثيرة في التحول والتقلب، لذا كان من الضروري أن تهيأ للشباب أسباب ضبط النفس وكبح جماحها والقيادة الحكيمة التي تُوجهها إلى الصراط المستقيم.

ومن المشكلات التي تواجه الشباب المسلم:

١- **الأزمة الروحية:** يعاني كثير من شباب المسلمين في أيامنا هذه من ضعف في الوازع الديني، يجعل دور الدين في الحياة باهتا، وتتمثل مظاهر هذه الأزمة الروحية في نواح عدة أهمها: -عدم تحكيم الدين عند الكثير من الشباب في سلوكهم العام والخاص. مع أن الدين بأحكامه وعبادته هو علاج للنفس، وتزكية للأرواح قال تعالى (**إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ**) [العنكبوت: ٤٥] وعدم التخلق بأخلاق الإسلام، والبعد عن شعب الإيمان والتقصير في العبادات والسلوكيات الإسلامية.

وأسباب هذه الأزمة كثيرة نذكر منها:

- **ما يتعلق منها بالتربية البيتية**، إذ أن المعالم الأساسية لشخصية الطفل تتكون في السنوات الأولى من حياته، ورسولنا صلى الله عليه وسلم أشار إلى هذه البيئة البيتية بقوله: " **ما من مولود إلى يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه و ينصرانه ويمجسانه** [١٣] **ويؤكد صلى الله عليه وسلم على تعليم الأطفال بقوله " علموا الصبي ابن السبع سنين، واضربوه ابن عشر**"[١٤]

- **ما يتعلق بالتربية الروحية في المؤسسات التعليمية:** لا شك أن اهتمام المناهج التعليمية في بلاد العرب والمسلمين بالنواحي الدينية وتطوير وسائل وأساليب التعليم في هذا الجانب أمر يجب زيادة الاهتمام به ورعايته، ومما يؤسف حقاً له أن هناك تقصيراً واضحاً في إيجاد المعلم المؤهل، في الجانبين

التعليمي والسلوكي، علماً بأن المعلم يجب أن يكون قدوة سلوكية لطلابه، وبخاصة معلم التربية الإسلامية.

ولذلك من الخطورة أن تتحول هذه التربية إلى مجرد تلقين للمعلومات، بحيث يصبح التدين عند الشباب مجرد معلومات فقط، وتصبح التربية الدينية وعظاً وإرشاداً يسمعونه ولا يدخل إلى حنايا قلوبهم أو ثنايا نفوسهم، فتتسع الهوة بين السلوك الشخصي وأوامر الدين ونواهيه.

وأما ما يتعلق بدور المسجد ودور العلماء فقد انحسر دور المسجد ودور العلماء ولم يعد لهم ذلك الأثر في حياة الشباب، فالمسجد بالنسبة لكثير من شبابنا المعاصر مجرد مكان يؤدون فيه فرض الصلاة فقط ... والعالم في الشرعية في نظر جماعات من الشباب إما شخص فقيه لا يتفاعل مع الحياة، ولا يعرف من الثقافة العامة التي يفهم لغتها الشباب، وإما شخص غير مثقف أصلاً تعارف الناس على تلقيبه بالإمام لا يجوز على احترام الشباب وثقتهم ولا يرضونه قدوة وأسوة لهم وقليل هم العلماء العاملون المربون الربانيون الذين يلبون أشواق الشباب ويعدونهم قدوة لهم.

وعلاج هذه المشكلة يكمن في التأكيد على رسالة المسجد في الإسلام، والتركيز على اعتباره مؤسسة إسلامية متكاملة، جوهرها التربية الروحية وإطارها اللقاء الاجتماعي بين شباب الإسلام لنشأوا على طاعة الله، والعناية بالمسجد ليكون منتدى فكرياً، يقود الشباب إلى تربية واعية مستنيرة.

ويكمن الجزء الآخر من العلاج في الارتفاع بمستوى تأهيل الأئمة والوعاظ وحسن اختيارهم ليكونوا قدوة سلوكية للشباب المسلم، وعندها يكونون أمصلة عملية تحتذى في السلوك العام يحوزون على احترام الشباب وثقتهم[١٥]

– ما يتعلق بالمناخ العام الاجتماعي والإعلامي الذي يؤثر في توجيه الشباب الروحي، من هنا يجب ان تكون الروح الدينية سارية في جميع ما يقدم من برامج، وأن لا يتقدما يناقضها[١٦]

٢- **الفراغ:** الفراغ داء قاتل للفكر والعقل، والنفس لا بد لها من عمل وحركة، فإذا كانت فارغة من ذلك ضاق العقل، وتبلد الفكر، وضعفت حركة النفس، واستولت على القلب الوساوس والافكار الرديئة وقد تحدث لها إرادات سيئة شريرة بنفس بنها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ.

وعلاج هذه المشكلة يكمن في سعي الشباب لتحصيل عمل مناسب له من قراءة، أو كتابة، أو تجارة، أو غيرها، مما يحول بينه وبين هذا الفراغ، ويستوجب أن يكون فرداً عاملاً في مجتمعه لنفسه ولغيره[١٧]

٣- **افتقاد الهوية الذاتية:**[١٨] لكل أمة هويتها التي تميزها عن غيرها، وهوية الامة الإسلامية تتكون من عقيدتها وتراثها وثقافتها ونظمها. والشاب المسلم نتيجة لظروف أمته وما تمر به من ضعف ومن تمزق، يفتقد هذه الهوية.

مكونات الهوية الذاتية للأمة:

- عقديتها المنزلة من السماء بما فيها من قيم، وأخلاق، وعبادات، وقوانين.
- لغتها – لغة القرآن الكريم – التي تعبر الأمة بها عن نفسها، وهي وسيلة لاكتساب المعرفة الانسانية، وإيصال المعرفة للآخرين، وهي مصدرة عزة الأمة وفخرها.
- تراثها الحضاري وإسهاماتها في الفكر البشري، ومثاله ما أضاف سلف هذه الأمة إلى مختلف المعارف الانسانية في مجال العلم، والطب، والهندسة، والكيمياء والصوتيات ... على يد أشهر العلماء أمثال جابر بن حيان، والكندي، وابن الهيثم، والفاربي... وغيرهم، والذين قال فيه " رام لاندو":

"لا يوجد سبب منطقي يبرز الفهم بأن العرب فقدوا الصفات التي مكنت اجدادهم من التفوق الحضاري، فهم لا يزالون يملكون تلك القيمة، ويستطيع أي انسان عاش بين العرب أن يتأثر بإنسانيتهم ومقدرتهم العلمية"[١٩]

وصياغة الشخصية الإسلامية تتوقف على جهد الإنسان في تغيير نفسه وواقعه دون إكراه أو إجبار قال تعالى: (**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ**) [الرعد: ١١].

ومن الجديد بالذكر أن الإنسانية–في عصرنا الحاضر–استطاعت أن تحقق تقدماً واضحاً في العلم والتكنولوجيا، والاقتصاد، لكنها عجزت عن تقديم الشخصية الآمنة السعيدة ذات الثقل الاجتماعي والتميز الأخلاقي، لأنها خدعت بقدرات العلم المادي وتقدمه، وظن الكثيرون بأن التطور التكنولوجي سيعرضهم

عن المعتقدات، وحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، إلا أن ظنهم قد خاب نتيجة الخواء الروحي، وتغير أهداف العلم مما أدى إلى إشقاء البشرية واخافتها، وإحساسها بالخطر الدائم في ظل التسابق في انتاج أسلحة الدمار والرعب.

ولعلاج هذه الأزمة اليت يعانيها الشباب إزاء هذا الواقع المرير يجب ربط الشباب بماضيه المشرق، وبتاريخه العريق، وزيادة ممارسته للشورى، وتحمل مسئوليته في إعطاء القرارات على جميع المستويات في وطنه الإسلامي الكبير، فيجب على الشاب أن يتسلح بالثقافة الإسلامية الأصلية لحاجته إليها حتى يقيم حياته على أساسها، ويجتذب الاخرين إليها.

ولتكون هذه الثقافة لا بد من دراسة العلوم المختلفة من القرآن والتفسير والسنة وعلومها، والسيرة النبوية وحياة الصحابة، والفقه والأصول وعلم العقيدة، والنظم الإسلامية. وإلى جانب دراسته لثقافته الاسلامية عليه أن يطلع على الثقافات والأفكار والعلوم الأخرى ليفيد منها في حياته بما لا يتعارض مع الإسلام[٢٠]

٤- **الاتصال يقوم منحرفين ومصاحبتهم:** اتصال الشاب بقوم منحرفين يؤثر على تكفيره وعقله وسلوكه ولذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: "**المرء على دين خليله فلنظر أحدكم من يخالل**"[٢١]

وعلاج هذه المشكلة هو أن يحسن الشاب المسلم صحبة من كان ذا خير وعقل وصلاح؛ من أجل أن يكتسب من خيره وصلاحه، فيزن الناس قبل مصاحبته لهم، بالبحث عن سمعتهم، فإذا كانوا من ذوي الخلق النقي والدين

المستقيم والسمعة الحسنة، فهم غنيمته وضالته المنشودة، وعليه أن يتمسك بهم وإلا فعليه الحذر منهم والبعد عنهم، وأن لا يغتر بمعسول الكلام وحسن المظهر، فإن أصحاب الشر يسلكون مسلك الخداع والتضليل لعلهم يكثرون سوادهم ويغطون بذلك على ما فسد من أحوالهم[٢٢]

٥- **قراءة الكتب الهدامة:** إقبال الشباب على قراءة المؤلفات الهدام من كتب وصحب ومجلات مما يشكك الشاب في دينه وعقيدته، ويأخذ بيده إلى هاوية التفسخ من الاخلاق الكريمة الفاضلة فيقع في الرذيلة والانحلال وفي الكفر أحياناً، إذا لم يكن عنده مناعة قوية من الثقافة الدينية المعيقة، والفكر الثاقب؛ ليتمكن من التفريق بين الحق والباطل وبين النافع والضار.

وعلاج هذه المشكلة يكمن في الابتعاد عن قراءة هذا الكتب، أخرى تغرس في قلبه محبة الله ورسوله والتقوى في القول والعمل وتدفعه إلى تطوير نفسه وزيادة وعيه بالحياة.

٦- **مشكلة الجنس:** تربط المشكلة الجنسية بالشباب غالبا، لذا اهتمت الدراسات التربوية والنفسية بهذه المشكلة باعتبارها إحدى مشكلات الشباب وأخطرها. فالجنس دافع غزيري من الدوافع التي يستجيب لها الإنسان متى أحس بالحاجة إليها؛ ولم يحارب الإسلام الغريزة الجنسية ولم يكتبها بل نظمها ووجهها الواجهة الصحيحة وجعلها من الأعمال التعبدية ما دام الإنسان المسلم يبتغي عفة النفس، وصبانة المجتمع. وقد

حث النبي صلى الله عليه وسلم الشاب على الزواج عند القدرة عليه فقال: " **يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**"[٢٣]، بل إن الإسلام يحذر من العزوف عن الزواج باسم العبادة والرهبنة، قال صلى الله عليه وسلم للنفر الثلاثة الذين أرادوا الانقطاع للعبادة: " **أما والله إني لأخشاكم الله واتقاكم له وكلني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني**[٢٤]

والمجتمع المسلم لم يعرف الجنس كمشكلة، لارتباط الحياة فيه والتزامها بمنهج الله وشرعه، ولإحساسه بالترابط العائلي، ومسايرة الفطرة في تلبية حاجات الجنس بالطرائق المشروعة، ثم بسبب التربية القائمة على أساس الإسلام والاعتزاز بالشرف والفضيلة.

والسؤال الذي يفرض نفسه على كل من يتناول هذا الامر بالتفكير هو: ما الذي جعل الجنس مشكلة للشباب؟

إذا أمعنا النظر نجد أسباباً كثيرة لهذه المشكلة منها:

أ- **الغزو المرتبط بالاحتلال:** وهو غزو ثقافي وعسكري عمَّ العالم الإسلامي، ونقل حياته من حياة تنظمها قوانين الشريعة وأحكامها إلى حياة أبعدت حكم الله وسلطان الشرع من حياة المسلمين، وقد ركز الغزاة على تشكيك المسلمين في دينهم وعقيدتهم، فانتشرت الفوضى باسم الحرية الشخصية، فكانت الفوضى في الأخلاق والجنس، وضعف الارتباط الأسري، ولم يكن

مبعث كل هذا غير الحقد الصليبي اليهودي على المسلمين وتدمير أمة الإسلام في أعز ما تملك وهو شبابها.

ب- **غلاء المهور وتوابعها:** ظاهرة غلاء المهور أصبحت سمة بارزة في مجتمعنا بعد أن تنكبنا جادة الصواب، وغرتنا الحياة المادية بقيمها وموازينها، فأصبح بعض الآباء يرون في بناتهم سلعاً فيطلبون المهور الغالية بحثاً عن السمعة، والتماساً للمباهاة والرياء، وقد تركت هذه الظاهرة أثاراً سلبية على مجتمعنا من أهمها:[٢٥]

- عزوف كثير من الشباب عن الزواج بالكلية أو تأخيره خوفا من تحمل أعبائه الحسام

- إزياد عدد العوانس في المجتمع نتيجة تعنتهن، أو امتناع أوليائهن من تزوجيهن متذرعين بأوهى الحجج.

- انطلاق بعض الشباب نحو الإشباع الجنسي بالطرق غير المشروعة، فانتشرت الفاحشة الرذيلة في المجتمع.

وعلاج هذه الظاهرة في الأمور الآتية:

- إعادة بناء المجتمع المسلم على أسس إسلامية صحيحة في عقيدته ومفاهيمه للحياة.
- تأسي الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام والتابعين رضي الله عنهم جميعاً في تزويج بناتهم باليسير من المهور.

- ثبات المسلم في وجه هذه الظاهرة مهما كانت التضحيات طمعاً في التغيير المنشود.
- تقديم العلماء والدعاة والمصلحين القدوة الحسنة ليكونوا نماذج حية في الخارج على مألوف العادات غير الإسلامية بتزويج بناتهم من المهور.

ج- **المثيرات الخارجية:** يتعرض الشباب إلى جملة من المثيرات الخارجية، التي تؤجج مشكلة الجنس لديه، مثل الأزياء العالمية التي تنتجها بيوت الأزياء، والمجلات الجنسية المنتشرة، والأفلام التي انتشرت بصورة حطمت القيم والحياء والمثل التي ترتقي بالإنسانية، إضافة إلى الصور العارية التي تلصق على المنتجات العالمية ولابد من تحصين الشباب من هذه المثيرات بالبعد عنها ومحاربتها.

د- **الاختلاط وعمل المرأة:** الاختلاط وعمل المرأة بشكل خارج عن قواعد الشريعة يزيد من سعار الجنس وينشره. وعلاج هذه الظاهرة يكمن في الرجوع إلى أصول الإسلام وقواعده التي نظمت علاقة الرجل بالمرأة، ووضعت إطاراً عاماً لعمل المرأة يحفظ لها انوثتها ورسالتها ودورها في المجتمع الإسلامي.

٧- **ظن بعض الشباب أن الإسلام يقيد للحريات ويكبت للطاقات:**

يعتقد بعض الشباب أن الإسلام يقيد الحريات ويكبت الطاقات ويحول بينهم وبين التقدم والرقي، فتراهم ينفرون منه، ويبتعدون عنه.

وعلاج هذه المشكلة يكمن في كشف النقاب عن حقيقة الإسلام لهؤلاء الشباب الذي جهلوا حقيقته لسوء تصورها أو ضعف علمهم أو كليهما معاً.

فالإسلام ليس تقييداً للحريات ولكنه ينظمها ويوجهها؛ حتى لا تصطدم حرية الشخص بحرية الأخرين عندما تعطى للشخص بلا حدود. وفرق بين التقييد الذي اعتقده البعض وبين التوجيه والتنظيم الذي شرعه الله تعالى لعباده، فالحياة كلها خضوع لحدود وقواعد معينة في تسيير الأمور لبلوغ الغاية المقصودة منها، والإسلام كذلك ليس كبتاً للطاقات، وإنما هو ميدان فسيح لكل الطاقات الفكرية والعقلية والجسمية المشروعة[٢٦]

فالإسلام يدعو إلى التفكير والنظر لكي يعتبر الإنسان وينمي عقله يقول الله تعالى:

(وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات : ٢٠-٢١]

والامر بالنظر والتدبر ما هو إلا تفتيح للطاقات العقلية والفكرية فكيف يقول البعض أن الإسلام كبت للطاقات (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) [الكهف :٥]، والاسلام قد أباح لأتباعه جميع المتع التي لا ضرر فيها على المسلم في دينه أو عقله أو بدنه، فأباح لأتباعه جميع الطيبات قال الله تعالى: (وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ) [الاعراف : ٣١]

والإسلام أباح اللباس وحث عليه على وفق ما تقتضيه الحكمه والفطرة، قال الله تعالى(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ) [النساء:٤].

وفي مجال الكسب لم يكبت الإسلام طاقات أبنائه بل أجل لهم المكاسب المشروعة بقوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ) [الملك: ١٥].

آفة المخدرات وخطرها على المجتمع

ميز الله تعالى الإنسان بالعقل على سائر المخلوقات، ودعاه إلى المحافظة على هذه النعمة الكبيرة، وشرع له الأحكام التي تحقق مقصداً من مقاصد الشرعية الإسلامية الضرورية وهو المحافظة على العقل، فمنع كل ما يلحق الأذى والضرر بالعقل مثل تعاطي المخدرات. فما مفهوم المخدرات؟.

مفهوم المخدرات:

تعريف المخدرات في اللغة: المخدرات اسم فاعل من خدَّر بتشديد الدال، ومصدره التخدير، ومادة خدَّر وما اشتق منها تطلق في اللغة على عدة معان منها الستر والاسترخاء. والمخدر هو ما يستر الجهاز العصبي عن فعله ونشاطه المعتاد.

التعريف العملي للمخدر: المخدر مادة كيميائية تسبب النعام والنوم، أو غياب الوعي المصحوب بتسكين الألم[٢٧] ويصبح المتعاطي مدمناً عليها.

التعريف القانوني:

المخدرات: مجموعة من المواد التي تسبب الإدمان، وتسمم الجهاز العصبي ويحضر تداولها أو زراعتها إلَّا لأغراض يحَّددها القانون ولا تستعمل إلا بواسطة من يرخص له بذلك.

التعريف الفقهي للمخدرات:

فرق الفقهاء بين المخدَّر والمفتر والمسكر فقالوا: المخدر والمرقد والمفسد واحد في معناه عند الفقهاء، فورد عنهم:

المرقد: ما غيب العقل والحواس دون أن يصحب ذلك نشوة وسرور.

المفسد: وهو المشوش للعقل مثل الحشيش والافيون.

والمفتر: من التفتير يقال: فتر عن العمل فتوراً، أي انكسرت حِدَّته فهو: تكسير للحدة، وتليينٌ بعد الشدة.

قال ابن حجر المكي: الكبيرة السبعون بعد المائة هي أكل المسكر الظاهر كالحشيشة والأفيون والشيكران. يفتح الشين المعجمة – وهو البنج، وهذه كلها مسكره كما صرح به النووي، ومرادهم بالإسكار هنا: تغطية العقل مع الشدة المطرية؛ لأنها من خصوصيات المسكر المانع.

ومن العلماء من قال: إن المخدرات منها الطبيعية ومنها الكيماوية. فأما الطبيعية: فهي مجموعة من النباتات التي تؤخذ وتستعمل كما هي دون تغيير

يذكر في مكاناتها، مثل الأفيون والحشيش والقات والكوكايين. وأما الكيماوية: فهي مجموعة المستحضرات التي تستخرج من النباتات السابقة وتمزج بمواد كيماوية بنسبة معينة، إذا أخذت بطرق الفم أو الأنف أو الحقن أدى ذلك إلى نفس النتيجة السابقة، بل أشد خطراً منها[٢٨]

موقف الفقهاء من المخدرات:

- أجمع فقهاء المذاهب الإسلامية على تحريم إنتاج المخدرات وزراعتها وتعاطيها.
- لا مثورة ولا ثواب لما ينفق من ربحها، والكسب الحرام مردود على صاحبه.
- المجالس التي تعد لتعاطي المخدرات مجالس إثم، والجلوس فيها محرم شرعاً.
- لا يحل التداوي بالمحرمات إلا عند تعينها دواءً، وعدم وجود مباح سواها وبقدر الضرورة.
- على الكافة إرشاد الشرطة المختصة لمكافحة تجارة هذه السموم القاتلة والقضاء عليها.

وخلص إلى النتيجة الآتية" ونخلص مما تقدم إلى أن المخدرات بكافة انواعها وأسمائها طبيعية أو مخلقة مسكرة، وأن مسكر من أي مادة حرام، وهذا الحكم مستفادة من نصوص القرآن والسنة النبوية، وبذلك يحرم تعاطيها بأي وجه من وجوه التعاطي من أكل أو شرب أو حسن لأنها مفسدة، ودرء المفاسد من المقاصد الضرورية للشريعة، حماية للعقل والنفس".

وبقي هنا جانب يسأل عنه بعض الناس وهو استعمال هذه المنبهات كدواء وهذا ما أجاب عنه النبي عليه السلام عندما سأله رجل عن الخمر، فنهاه عنها، فقال الرجل: إنما أصنعها للدواء. قال صلى الله عليه وسلم " **إنه ليس بدواء ولكنه داء**"[٢٩]

ولا عجب أن يحرم الإسلام التداوي بالخمر وغيرها من المحرمات، فإن تحريم الشيء كما قال ابن القيم[٣٠]: يعني تجنبه والبعد عنه بكل طريق، وفي اتخاذه دواء حض على الترغيب فيه وملابسته، وهذا ضد مقصود الشارع. وقد تنبه ابن القيم إلى جانب نفسي هام فقال: " إن شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول، واعتقاد منفعته، وما جعل الله فيه من بركة الشفاء، وحسن ظنه بها وتلقيه لها بالقبول، بل كلما كان العبد أعظم إيماناً كان أكره لها، وأسوأ اعتقاداً فيها، وكان طبعه أكره لها، فإذا تناولها في هذه الحالة كانت داءً لا دواءً". ومع هذا فإن للضرورة حكمها، فلو أن هذه المنبهات وصفت دواء لمريض يخشى على حياته بحيث لا يُغنى عنها دواء أخر – ووصف ذلك طبيب ماهر في طبه، غيور على دينه، فإن قواعد الشريعة القائمة على اليسر وعلى رفع الحرج، لا تمنع من ذلك على أن يكون في أضيق الحدود[٣١] قال تعالى:(**فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) [٣٢][النحل: ١١١]. وقال تعالى (**فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) [الأنعام: ١٤٥].

أثار المخدرات:

لا شك أن المدمن يشعر بنقص، وانه ضعيف الإرادة، عبد للمادة التي يدمن عليها، فالمخدرات تؤثر في حكم العقل على الأشياء والأحداث، فيرى القريب بعيداً والبعيد قريباً، ويذهل عن الواقع، ويتخيل ما ليس بواقع، وهذا ما يسعى إليه متناولوها حتى ينسوا أنفسهم ودينا هم ويسرحوا في أودية الخيال، وأنظر إلى أقوال أهل الطب في تأثير المخدرات والمسكرات على العقول أو الجهاز العصبي. ومن تأثير المخدرات على الجهاز العصبي:[٣٣]

- يؤثر المخدر في الجهاز العصي المركزي فيزيد من نشاطه الذي يؤثر في حدقة العين ومركز العصب الخامس ومركز القيء.
- تنتاب المدمن نوبات من الغثيان والقيء.
- تؤدي بعض المخدرات إلى ما يشبه الشلل التام.
- انعدام قدرة المدمن على التركيز في التفكير.
- زيادة حساسية المدمن لكثير من الأصوات.
- ينتاب المدمن حالة من الصداع لا تلبث أن تصل إلى النوم.

هذا غير ما تحدثه من فتور في الجسد، وخدر في الأعصاب، وهبوط في الصحة وفوق ذلك ما تحدثه من خور النفس، وتميع الخلق، وتحلل الإرادة، وضعف الشعور بالواجب، مما يجعل هؤلاء المدمنين لتلك السموم أعضاء غير صالحة في جسم المجتمع.

فضلاً عما وراء ذلك كله من إتلاف المال، وخراب للبيوت، بما ينفق على تلك من أموال طائلة، ربما دفعها المدمن من قوت أولاده، وربما انحرف إلى طريق غير شريف يجلب منها ثمنها.

وبعد فإن الإسلام بشموليته في تعاليمه يحافظ على ما أسماه الأصوليون الضروريات الخمسة وهي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال وفي استخدام هذه المخدرات اعتداء على هذه الضروريات بأكملها. ويكفي أن نشير هنا إلى خطورة المخدرات بما نشرته صحيفة التايم الامريكية نقلاً عن المسؤول بوزارة الصحة الامريكية الذي ذكر أن ما لا يقل عن ١٢٥الف شخص يلاقون حتفهم سنوياً في أمريكا بسبب تعاطي الخمور، وأن ٦٠٠٠ شخص يموتون نتيجة تعاطي المخدرات.

وفي بريطانيا يذكر تقرير الكلية الملكية للأطباء العموميين أن عدد الذي يلاقون حتفهم بسبب تعاطي الخمور هو أربعون ألف شخص، بينما يقدر تقرير الكلية الملكية للأطباء الباطنيين العدد بحوالي ٢٥ ألف شخص سنوياً. وأما عدد الوفيات الناتجة عن ما يسمى المخدرات فيقدر بـ ١٦٥ شخصاً في العام. كما يذكر تقرير الكلية الملكية للأطباء النفسيين في بريطانيا[٣٤].